جامعة تلمسان

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم علم الآثار **السنة الجامعة: 2021 – 2022**

المستوى: ماستر2 **السداسي: الأول** **التخصص: الآثار الإسلامية**

عنوان المقياس: تاريخ الأبحاث الأثرية في الآثار الإسلامية بالجزائر

أستاذ المادة: أ.د بلحاج معروف

عنوان الدرس: الأبحاث الأثرية في منطقة تلمسان

الأبحاث الأثرية في منطقة تلمسان:

حفريات هنين:

يعد هنين مرفأ إستراتيجيا مهما، وهذا ما تؤكده المصادر التاريخية وكتب الرحالة، ويقع مدينة هنين شمال تلمسان، وتبعد عنها بحوالي 50 كلم، وتأخذ موقعها بين خط طول 1.65غربا، وخط عرض 35.17 شمالا.

كانت لهنين علاقات تجارية مع الأندلس مند القرن الثاني للهجرة الثامن للميلاد، إذ كانت مرفأ عبور للتجارة، واستمرت أهميتها في العهود اللاحقة أيام المرابطين والموحدين والزيانين، وحتى المرينين الذين حاولوا السيطرة عليها إلى أن احتلها الأسبان لما شعروا بضعف الدولة الزيانية واستولوا عليها سنة 938هـ/1531م، ثم قاموا بتخريبها .

أقيمت أول الأسبار في السنوات 1971-1972 على مقربة من السور الشمالي للمدينة، ومن خلالها تم إعلان الاتفاق بعدم البناء في الأراضي الواقعة بمقابل بلدية هنين المحاذية للأسوار الشمالية.

وانطلقت الحفرية خلال الثمانينيات من القرن العشرين، وقد تم الكشف عن حي كامل يتكون من خمسة مساكن مع دروبها، لقد سمحت الحفرية بالتعرف على النظام العمراني للمدينة، وبمعاينة مختلف تقنيات البناء، ومختلف أشكال الآبار، ومكنتنا من معرفة جيدة للهياكل المعمارية للمساكن.

ومن خلال دراسة المدينة، تمكن عبد الرحمان خليفة وفريقه من تحديد وضعية المباني المهمة للمدينة في العصر الوسيط، إذ كان جزء من المدينة مهجورا من سكانه، وأصبحت بعض الدروب لا تؤدي دورها، وقد أشار إلى ذلك حسن الوزان في كتابه "وصف إفريقيا"، لقد سمح المسح الأثري من جرد كل البقايا الأثرية غير المنقولة الموجودة في منطقة ترارة ، وتمكنا من فهم أهمية المنطقة في الصراعات الزيانية والمرينية للسيطرة على الطرق التجارية.

حفريات أغادير:

أغادير تجمع سكني يقع في الناحية الشرقية لمدينة تلمسان، ويقع ما بين خط طول 1.30غربا، وخط عرض 34.88 شمالا، يفصل الطريق المعبد ما بين المئذنة والجامع، وهو

الموقع القديم لبوماريا، الموقع الأثري ذو أهمية بالغة من جوانب عديدة، إذ يعد النواة الأولى لمدينة تلمسان، وكان مركزا للاستيطان البشري منذ القديم إلى يومنا هذا، وقد مرت عليه عدة حضارات خلال الفترة الإسلامية بدءا قبائل بني يفرن إلى الأدارسة ثم المرابطين والموحدين وصولا إلى الزيانيين والمرينيين،

لقد قام ألفريد بل Alfred Bel بحفر بعض الأسبار من حوالي المئذنة، فكشف عن جدار مشيد بالحجارة المنحوتة الكبيرة، ويواصل امتداده نحو الشرق بواسطة جدار من الطابية، واعتمادا على ذلك أنجز مخططا للجامع فندته فيما بعد الحفريات المنظمة خلال السنوات 1973-1980،

نظمت سنة 1973 حفرية بموقع أغادير الأثري في إطار طلب تهيئة أرض للبناء تقدم بها صاحب ملكية أرض فلاحية محاذية لمئذنة جامع أغادير الذي لا يظهر منه سوى المئذنة، إن الأسبار الأولى التي نقبت أدت إلى توقيف المشروع، وتعويض ملاك الأرض والانطلاق في حفرية أثرية بالاشتراك مع البولنديين، سمحت هذه الحفرية بتحديد محيط الجامع والكشف عن المحراب والفضاء المخصص للمنبر، كما تم جمع عدد كبير من الشقف الفخارية والخزفية والقطع الجصية والمعادن...الخ، وسمحت الحفرية أيضا بإنشاء تسلسل زمني نسبي لكن مع الأسف توقف التمويل الذي كان موجها للحفرية ومشروع تحويل الطريق الذي كان يقطع الجامع، وقد تم نشر تقريرأولي في الدورية الأثرية الجزائرية العدد السابع.

لقد قدمت لنا الحفرية عناصر فهم الموقع الأثري من الناحية التاريخية، حيث تعرفنا على الهندسة المعمارية للمبنى الأثري الذي شيد بحجارة تعود إلى فترة قديمة، وعلى غرار المسلمين الأوائل مثل عقبة بن نافع الذي بنا الجامع الكبير بالقيروان بمواد بناء قديمة، تم بناء جامع أغادير، كما وضعوا الحجارة في المئذنة بحيث تبرز الكتابات القديمة المنقوشة فيها، وبنفس الطريقة تم وضع أحجار أساسات المحراب، التي تحمل كتابات لاتينية قديمة.

الجامع ذو مخطط شبه منحرف الشكل، حيث يبلغ طول ضلعه الجنوبي 37.55م، والضلع الشرقي 39.70م، والضلع الغربي 40.55م والضلع الشمالي 37.20م، وتتألف من دعامات من الآجر تم الكشف عن قواعدها أثناء الحفرية، كما تم العثور على جزء من العقد في الأرضية، يدخل في بنائه الجير، بالإضافة إلى القرميد وقطعة من السقف، وعدد كبير من

الشقف الفخارية ومختلف القطع المعدنية، وكل هذه المكتشفات تم تسجيلها ووضعها في متحف تلمسان.

قد تم العثور على جدار من حجر الدبش تحت أرضية الجامع، ربما تعود إلى مسجد سابق أو إلى مبنى يعود إلى الفترة الرومانية، إن المصادر التاريخية تشير إلى أن الجامع تم بناؤه من قبل إدريس الأول سنة 790م، ثم عدل من قبل ابنه، ولكن المصادر تتجاهل فترة أبي قرة اليفرني التي كانت حسب علمنا فترة تاريخية مهمة بالنسبة لتلمسان، الديانة التي كانت منتشرة في تلك الفترة تجعلنا نعتقد وجود جامع تؤدى فيه الصلاة وتم تعديله وتوسيعه من قبل إدريس الأول، كما أن المصادر سكتت عن استغلال الجامع أيام المرابطين، إذ تم العثور على قطع جصية تحمل زخرفة شبيهة بتلك التي تزين الجامع الكبير بتلمسان الذي شيده علي بن يوسف بن تاشفين المرابطي، ومن هنا يمكن القول أن الجامع كانت تؤدى فيه الصلاة، لاسيما إذا علمنا أن الجامع الكبير تم إنشاؤه سنة 530هـ/1136م، كما أنه كان يستغل في العهد الموحدي على اعتبار أنه تم العثور على دينار موحدي في أرضية جامع أغادير.

وتشير البقايا قنوات نقل المياه إلى نظام تزويد الجامع وما يرتبط به من المياه التي استقدمت من الجهة الجنوبية.

لقد فتحت أسبار أخرى في الجهة الجنوبية للجامع قصد التعرف على مدى ارتباطها بالجامع، واتضح أنه كان يضم مساكن، ولكن نظرا لانعدام التمويل توقفت الحفرية، ولنفس السبب حسب عبد الرحمان خليفة، لم يتم نشر نتائج الحفرية.

حفرية المشور:

يحتل قلعة المشور موقعا إستراتيجيا داخل مدينة تلمسان، ويقع في الجهة الغربية من المدينة بنهج أول نوفمبر، والموقع الأثري يأخذ مكانه ما بين خط طول 1.30088 غربا وخط عرض 34.8816 شمالا، وتشتمل القلعة بداخلها على مجموعة من المعالم الأثرية، فبالإضافة إلى القصر تضم القلعة السجن الذي يقه في جهتها الشمالية والجامع، وبعض البيوت وبرج المدخل الذي أنشأه الاحتلال الفرنسي، وهذه المجموعة من المباني تحيط بها سور يعود إلى فترة الاحتلال.

مع بداية التسعينيات من القرن العشرين أعادت السلطات العسكرية قلعة المشور للسلطات المدنية لتلمسان، وقرروا هدم المباني التي تعود إلى فترة الاحتلال الفرنسي، حيث كانت تستغل كثكنة عسكرية، وانطلقت أشغال الحفر في الموقع، فظهرت هياكل معمارية لقصر زياني، وتم العثور على عدد كبير من شواهد القبور التي ما زال بعضها قيد الدراسة، كما درس المعلم الأثري المكتشف في مذكرة ماجستير بالمدرسة الوطنية للهندسة المعمارية.

برمجت حفرية بالتشارك بين قسم علم الآثار بجامعة تلمسان ومتحف تلمسان وذلك خلال السنوات 2008-2009، بهدف معرفة مخطط قلعة المشور وما تتضمنه من وحدات معمارية قبل استغلاله من قبل المستعمر، تم التركيز عملية التنقيب على قاعة من قاعات القصر، فتم الكشف عن الأرضية التي كانت مركبة من طبقتين مختلفتين إحداهما قديمة والأخرى حديثة ويفصلهما ملاط من الجير، وبالنسبة للقاعة فقد تبين أنها تعرضت للتغيير لا سيما على مستوى السقف والعقود والأعمدة ، وتم العثور على بعض البقايا الأثرية التي ساعدت فريق البحث على فهم مراحل تطور القصر عبر العصور، فمن خلال الدراسة تبين أن القاعة مرت على مرحلتين ؛ المرحلة الأولى مرحلة النشأة وتعود إلى الفترة الزيانية حيت تميزت باستعمال عناصر معمارية وزخرفية راقية كالزليج ذو الأشكال الهندسية المختلفة، وتشبه كثيرا تلك المستعملة في قصور غرناطة، وفي المرحلة الثانية تم الاستغناء عن الزليج الراقي، واستعمل الزليج البسيط المربع الشكل.

وفي الجهة الشرقية من القاعة تم العثور على مجموعة من الأرضيات ، فمنها ما اكتشف تحت الردم مما استنتج أنها حديثة، وأخرى تم اكتشافها تحت طبقة من الإسمنت، مما يدل على قدمها، حاول فريق البحث إعادة تصور القاعة وذلك اعتمادا على المكتشفات والملاحظة الميدانية، فقد تمت مقارنة العناصر المعمارية الموجودة في مكانها الأصلي مع تلك الموجودة في غير مكانها، وذلك مع مراعاة خصائص ومميزات كل حضارة من الحضارات التي مرت بمدينة تلمسان.

شكل عنصر النوافذ مشكلة بالنسبة لفريق البحث الذي اعتمد لتفسير الظاهرة إلى المخططات القديمة مثل مخططي 1835 و1843، وقد تمت الاستفادة من المخططين في معرفة الطراز المعماري للقلعة مع التعرف على الإضافات التي طرأت خلال فترة الاحتلال.

تم تكليف فريق ثالث للتحري في المنطقة الغربية من القلعة، والاعتماد في ذلك على الوثائق الأرشيفية والملاحظة الميدانية، وخلص الفريق بعد اتباع الأرضيات، وتفحص الآثار المكتشفة المتجهة غربا إلى أن الفضاء الغربي من القلعة كان يحوي بنايات جميلة تم هدمها في فترة الاستعمار الفرنسي ، كما أن هذه البنايات قد تعرضت إلى تغييرات عديدة.

ومن خلال مواد البناء والعناصر المعمارية تمكن الفريق من معرفة طبيعة التغيرات التي تعرضت لها قلعة المشور.

في سنة 2010 تقرر فتح حفرية جديدة في قلعة المشور، وذلك في إطار تظاهرة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية سنة 2011، فكانت إنقاذيه بهدف فسح المجال لإقامة مشروع إعادة بناء قصر المشور، فكان عمل فريق البحث بقيادة لخضر درياس البحث عن الشواهد المادية وإنقاذها، وانحصرت الأشغال في مساحة 4000م2، كان لا بد من رفع الردم الذي تراكم على مر العصور بسبب التغيرات المتتالية، وتك استخدام الماكينات لربح الوقت، وبعد تهيئة الموقع انطلقت التنقيبات الأثرية، فتكنت البعثة الأثرية من اكتشاف قصرين يعودان إلى الفترة الزيانية، تأكيدا لما ورد في المصادر التاريخية والمخططات القديمة، فقد تم التعرف على مواد البناء وتقنيات البناء في تلك الفترة لا سيمما أن القصرين حافظا على التصميم الأولي الذي كان يعتمد على فتح الفضاءات نحو الصحن الذي يتوسطه حوض مائي .

كما تم اكتشاف العديد من قنوات نقل المياه، منها ما عثر عليها في موقعها الأصلي مما سمح للبعثة بالتعرف على طرق تموين القصر بالمياه,

تم الكشف على عدد كبير من الأرضيات الفسيفسائية المتنوعة الأشكال والألوان، ومنها عرفنا نوعية الزليج المستخدم في العهد الزياني والذي لم يكن مختلفا عن الفن الزخرفي المغربي عموما آنذاك.

إن المكتشفات الأثرية التي عثر عليها أثناء هذه الحفرية سمحت للفريق الأثري بفهم التطور العمراني الذي شهدته قلعة المشور عبر العصور ثم تدهوره في الفترات المعاصرة.

حفريات المنصورة:

تقع مدينة المنصورة حاليا على بعد 2 كلم غرب مدينة تلمسان، وعلى بعد نصف كلم من باب الخميس، ويحدّها من الشمال السكّة الحديدية التي تحاذي الأسوار، ومن الجنوب هضبة العطّار ومن الغرب مدرسة الزراعة، وتتربّع المدينة على مساحة تقدر بحوالي مائة هكتار تحدّدها الأسوار المشيّدة بالطابية والتي تمتّد على مسافة 4 كلم. وقد تأسّست داخل الأسوار وفوق البقايا الأثرية سنة 1850م قرية المنصورة التي احتلت مساحة تقدر بحوالي 40 هكتار.

وبالنسبة لموقعها الفلكي فهي تأخذ مكانا بين خط عرض ¨87'08˚34 شمالا، وخط طول¨86 '33˚1 غربا.

يحدّد شارل بروسلار موقع القصر داخل أسوار المنصورة انطلاقا من الحفرية التي قامت بها مصلحة المباني العامة الفرنسية سنة 1858م، تحت إشراف مفتّشها العام، فتم العثور خلالها على تاج عمود مصنوع من الرخام يحمل نصّا كتابيا يتضمّن اسم القصر (دار الفتح) ومؤسّسه أبي الحسن بن علي المريني وتاريخ بنائه سنة 745 هـ / 1246م[1].

ارتبط اسم إدموند ديتوا Duthoit بالفن العربي الإسلامي ومهد للقيام بالعديد من أعمال الترميم في الجزائر، ولعل أهمها ما قام به في تلمسان سنة 1872م، أعمال ترميم جامع المنصورة بتلمسان .

ومن خلال الحفريات التي أجراها ألكسندر ليزين Alexandre Lezine في الجامع سنة 1964م. قدم وصفا للمئذنة معتمدا على المعلومات التي أوردها ابن مرزوق الحفيد في كتابه المسند، حيث يتّفق معه في وجود بابين للمئذنة الأوّل أصم يستغل كمخزن وأمّا الثاني فيؤدّي إلى أعلى المئذنة، وفي بحثه عن الأصول المعمارية فقدرأجعها إلى منار سوسة الذي شيّد سنة 859م، حيث يرى أنّها تأثرت بدورها بلبتيس ماغنا، ويخالف ليزين بارجيس في كون مداخل الجامع مبنية بالحجر المنحوت، ويرى أنّها مبنية بالآجر، وتشبه في زخرفتها المصلى،

كما تحقّق من أرائه التي طرحها حول نوعية السقف الذي كان يغطّي الفضاء الأمامي للمحراب عن طريق الحفرية.

نظمت في مدينة المنصورة الأثرية حفرية بين السنوات 1986-1993 من قبل الدكتور عبد العزيز لعرج، كان الهدف منها البحث عن الهياكل المعمارية المرينية، وقد مرت هذه الحفرية على عدة مراحل.

كانت الحفرية بموقع داخل قرية المنصورة، وقد تم اختيار هذا الموقع بعدما توقف مشروع بناء مسجد فوقه سنة 1972، بسبب العثور على بقايا أثرية عند حفر الأساسات البناء، ظل الموقع الأثري على إهمال وتراكم للأوساخ إلى اية انطلاق الحفرية.

لقد أفضت الحفرية إلى اكتشاف هياكل معمارية يعتقد الدكتور لعرج أنها دار أو قصر، اعتمادا على الأعمدة الرخامية والزليج الذي تم العثور عليه، وتتألف هذه الدار حسب مدير الحفرية من صحن متوسط يطل عليه رواق من جهاته الأربعة، وفتحت نحو الرواق حجرات بمعدل حجرة في كل جانب، بالإضافة إلى ملحقات أخرى في الجهات الشمالية والجنوبية والغربية.